قصة

تحسبه دوستويفسكي قادماً من منازل الأموات البراغماتي

حسن أكرم

بطاقة

كاتب عراقي من مواليد مدينة البصرة عام 1993 ويقيم في بغداد ويعمل في مجال النشر وصناعة الكتاب. صدرت روايته الاولى «خطّة لإنقاذ العالم» عن «دار الرافدين» عام 2020، ومجموعته القصصية «كتاب الكوابيس» عن منشورات «مقبرة الكتب عام 2021. تصدر له العام المقبل مجموعة قصصية بعنوان «لو انني منعتُ الديمقراطية من ان تركب على ظهر الدبابة»، وهي المجموعة الحائزة منحة تفرّغ من مؤسّسة «مفردات» في بيجيكا.

سعد من المنتمين روحياً إلى الأدب الكلاسيكي الروسي، قرأه وتأثر به. وعلى الرغم من الفقر الذي أصاب البلاد في التسعينيات، إلّا أنّ دور النشر المزدوجة الروسية العربية والمدعومة من الدولة الأمّ، وفّرت تلك الكتب بطبعات أنيقة، وبسعر رمزي لبغداد. قرأ الكثير لدوستويفسكي وعنه، واقترب منه كثيراً حين قرأ «الجريمة والعقاب»، ثم راح يتتبّع حياة «سيّد بطرسبرغ» كأنّه يهتمّ لأمر نبيّ أو إمام، فلم يترك مسوّدة أو رسالة كتبها أو كُتبت له إلّا وأجهز عليها.

لقد تمثّل بشخص فيودور كأنه أصبح هو ذاته، ولكن بسمات عراقية. وقد نعزو ذلك لتشابه الأحداث بين الشخصيّتَين؛ فسعد تُوفيت زوجته قبل فترة وجيزة، وهو يعيش في فقر مدقع، مثلما عاش الروائي الروسي في تلك الفترة. لذا نجد أنّ سعداً صار يشبهه حتى في سحنته وذقنه الطويل، فعندما يسير في شوارع المدينة تحسب أنه فيودور قادماً من منزل الأموات. ورغم أنّنا لم نعثر على فيديو لـ«فيدرو» وهو يتمشّى لنقارن بين الاثنين، إلّا أنه يشبهه في امتلائه وتحدّب ظهره واختفاء عينيه الصغيرتين داخل وجهه.

تلبّس بفلسفة راسكولينكوف، بطل رواية دوستويفسكي الأشهر، وأصبح عدمياً لا يهمّه مستقبله أو مستقبل العالم من حوله. كان بائساً كئيباً، لا يأبه لمشاعر الآخرين وآرائهم، حتى أنّه لا يتردّد في وصفك بالتافه أو السطحي إذا ما وجد ذلك فيك، ولا يترك لك ابتسامة التحية حتى لو بادرت بها أنت.

لقد كان هكذا كأنه يحمل معه همّهُ العراقي وهم راسكولينكوف معاً.

وبالطبع كان مُدينًا لصاحب السكن، ولم يأكل لأيام عديدة سوى صحن من الأرز الأبيض، صحن أرز يخلو من أيّ إضافة، صلصة أو مرق.

ذهب سعد لخيار الانتحار لمرّات عدّة، وفي كل مرّة يحدث شيء ما يحول دون ذلك، آخرها في العام 2003 حيث كان ينوي أن يرمي نفسه في نهر دجلة، ليحقّق رغبة راسكولينكوف في الانتحار عند «نهر السين».

لكن صوت الطائرات الأميركية تركت في نفسه الفضول للبقاء حيّاً، وانتظار ما تحمله تلك الطائرات لحياته الجافّة.

عرف بعد ذلك أنّ الأميركان قد دخلوا بغداد فوق دبّابات البرامز، والتي تحمل معها فلسفة أميركية جديدة تُدعى «البراغماتية». واجه صعوبةً في التعرُّف على ماهية تلك الفلسفة، فلم يكن بعد قد تُرجم كتاب للّغة العربية يتحدّث عنها. لم يجد سوى بعض المقدّمات في المعاجم الفلسفية، وبعض المداخل عنها، حتى أنّه اضطر للبحث عن معنى الكلمة لغوياً فوجد أنها تعني «ما هو عملي». وبعد ذلك، وبتعدّد مصادر البحث والعثور على ترجمات جديدة لبعض الكتب، فهم العمود الفقري لتلك الفلسفة التي أبهرته وأثارت فضوله.

تُعنى الفلسفة البرغماتية بالنتائج أكثر منها بالطرق التي تسلكها لتلك النتائج، سواء ارتكبنا حماقات وتنازلات أخلاقية أو دينية أم لا، نحكم على فائدة تلك التي تُدعى البراغماتية بحصد نتائجها النهائية، هذا ما قرأهُ عنها. لقد كانت سنة مفصلية بالفعل.

من الفلسفة العدمية الروسية وملاّت روحه تلك البراغماتية الحديثة، فتبدّل وجهه وبرزت عيناه من محجرهما المظلم، وسرعان ما استعاد صحّته وحلق لحيته، وصار يردّ الابتسامة بأحسن منها ويحاذر جدّاً من أن يجرح أحداً بكلمة أو إشارة، وما هي إلا شهور في العمل بستايله البراغماتي، حتى حصل على وظيفة في أحد مخازن شركة «بيبسي» العالمية، وصار مسؤولاً عن جوقة من العمّال الفقراء. لقد كان من الصعب أن تتحدّث معه في أمر شخصي أو أن تطلب منه إجازة. لم يكن يعني له شيء إن توسّلت له لمرض أصابك أو كرب مسّك، سيتركك تعمل وتلتزم بوقت مناوبتك المتّفق عليه، ولن يهمّه سوى نتائج العمل ومعدّلات النمو.

لقد تحوّل إلى أرستقراطي حقيقي، بعد أن حظي بتقدير المدراء، وحصل على مكانة وظيفية جديدة براتب ضخم، لقد غادر سعد البؤس إلى الأبد، ويمكن ملاحظة ذلك بمقارنة صورتَين لنفس الرجل تقارن فيها حاله قبل عام 2003 وما بعدها. لقد كانت سنة مفصلية بالفعل.

وبعد عدّة سنوات اكتسب فيها الخبرة والحنكة، وتلبّس تلك الفلسفة الجديدة كأنه هو من نَظّر لها، قرّر أن يدخل العملية السياسية، حيث زعم أنّ فرصه ستكون كبيرة في عملية سياسية حديثة النشوء، ذلك لأنه هو الوحيد الذي يملك رؤية واضحة واستراتيجية جديدة، الخطة البراغماتية، هذا ما كان يقصده، والتي سرعان ما تطوّرت لتبدو بشكل عراقي أكثر، حتى أنه صرّح مرّة، أنّ برغماتيته جديدة ومعدّلة عن النسخة الأصل لـ تشارلز ساندرس بيرس، حيث قال: «براغماتيتي تختلف كثيراً عن برغماتيته».

سرعان ما تسلّل سعد في كاره الجديد وتملّك مكاناً قيادياً مرموقاً، حتى شعر أنه قد تحوّل من رجل غلبه القدر إلى شخص آخر هو من يتحكّم بأقدار الآخرين، ويقيناً أنه قد هجر فيودور وما يكتبه.

تسلّم سعد ملفاً مهمّاً جدّاً وحساساً، ملف الاستثمار الأجنبي في النفط العراقي، وقد أوكل له أن يعمل على تعبيد الطريق أمام القرارات الأميركية بهذا الشأن.

وبعد عدّة سنوات اكتسب فيها الخبرة والحنكة، وتلبّس تلك الفلسفة الجديدة كأنه هو من نَظّر لها، قرّر أن يدخل العملية السياسية، حيث زعم أنّ فرصه ستكون كبيرة في عملية سياسية حديثة النشوء، ذلك لأنه هو الوحيد الذي يملك رؤية واضحة واستراتيجية جديدة، الخطة البراغماتية، هذا ما كان يقصده، والتي سرعان ما تطوّرت لتبدو بشكل عراقي أكثر، حتى أنه صرّح مرّة، أنّ برغماتيته جديدة ومعدّلة عن النسخة الأصل لـ تشارلز ساندرس بيرس، حيث قال: «براغماتيتي تختلف كثيراً عن برغماتيته».

سرعان ما تسلّل سعد في كاره الجديد وتملّك مكاناً قيادياً مرموقاً، حتى شعر أنه قد تحوّل من رجل غلبه القدر إلى شخص آخر هو من يتحكّم بأقدار الآخرين، ويقيناً أنه قد هجر فيودور وما يكتبه.

تسلّم سعد ملفاً مهمّاً جدّاً وحساساً، ملف الاستثمار الأجنبي في النفط العراقي، وقد أوكل له أن يعمل على

«موت طفل» لـ محمود صبري، 1963

إطلالة

القبّعة والطربوش مرّةً أُخرى

مصاعب المجدّدين

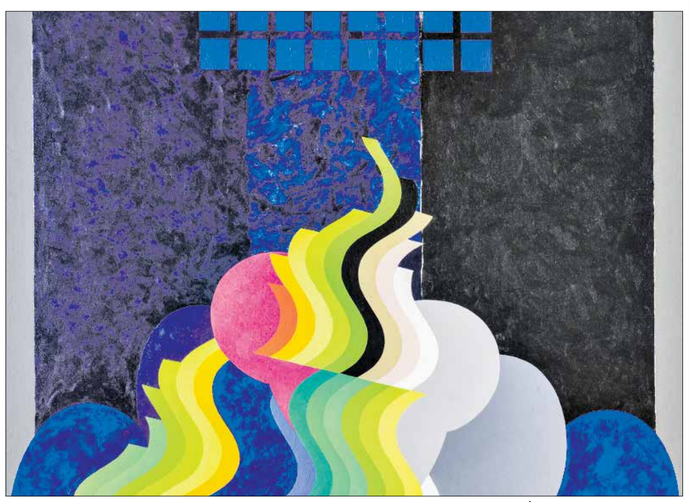

محمد المليجي، اكريليك على قماش

عاش معظم المجدّدين العرب معاناة مزدوجة، وهو امرٌ يجعلهم جديرين بالتقدير، لا بالتقليل من منجزهم، أو بمحاسبتهم وفق المعايير الحالية

ممدوح عزام

يشير علي الراعي في كتابه «دراسات في الرواية المصرية» إلى المصاعب التي لاقاها كلّ من محمد المويلحي ومحمد حسين هيكل في إدخال النوع الروائي إلى الثقافة العربية، وهي مصاعب مختلفة ومتنوّعة، لا تتعلّق بالمواجهة المحقّقة بين الكاتب والمجتمع، كما حدث في حالة المويلحي جهراً، أو كما كان من المحتمل أن يحدث في حالة هيكل، لولا أنه تلافى هذه المواجهة بإخفاء اسمه كمؤلّف عن غلاف الطبعة الأولى من روايته «زينب»، تحاشياً لاحتمال اعتراض المجتمع على النوع، أو على المحتوى، ولكنّها تتعلّق أيضاً - وهذا ما يختفي مع الأسف خلال التاريخ اللاحق - بالمواجهة مع مشاكل بناء النوع نفسه، ويقول الراعي في مقدمة كتابه إنّ المويلحي كان «يصارع» فنّ المقامة ليطوّره، بينما كان هيكل «يناضل» ضدّ النثر الفنّي العربي المتجدّد.

هذا هو حال معظم المجدّدين العرب، وقد كانت معاناتهم مزدوجة، وفي هذا الباب وحده نرى أنهم جديرون بالتقدير، لا بالتقليل من منجزهم، أو بمحاسبتهم وفق المعايير الحالية، التي تتجاهل التراكم التاريخي الذي تحقّق عبر قرن ونصف القرن من حياة الشعوب العربية، بل بتفهُّم تلك المصاعب التي اعترضتهم، وكيف استطاعوا، أو لم يستطيعوا تجاوزها، وإذا ما تمكّنوا من خلق تلك المواءمة بين النوع، وبين الواقع.

يختفي هذا الصراع أو النضال في سياق التاريخ الحديث، لصالح المواجهة مع المجتمع، بينما تقول الحقائق إنّ النوع الجديد، الرواية أو المسرح أو الشعر الحديث (بل يمكن توسيع الدائرة إلى الأفكار السياسية؛ إذ يمكن القول إنّ العديد من تلك الأفكار قد فشلت في عالمنا العربي لأنّ أصحابها لم يبذلوا جهداً حقيقياً في إعادة إنتاجها محلّياً) لا يبقى أو يتطوّر بسبب الصراع مع القوّة السياسية أو المجتمعية، أي بسبب الصراع مع الخارج فقط، بل بفضل التطوّر النوعي الداخلي في متطلّبات النوع نفسه. والأمر يختلف تماماً هنا عن مسائل الصراع بين القديم والجديد في حقول أخرى، وإذا تذكّرنا المعركة الشهيرة حول الطربوش والقبّعة، فإنّ أنصار الجديد الذين أرادوا اعتماد القبّعة، خاضوا صراعاً فكرياً فقط، فالمنتج . القبّعة كان جاهزاً ومُعدّاً في مكان آخر، ولا يحتاج لإعادة تدوير، أو إعادة إنتاج محلية ليتناسب مع رؤوس العرب، ولم يستطع أنصار الطربوش المهزومون، وما كانوا يستطيعون، تحريك الشارع وتجييش المتظاهرين لتهديد أنصار القبّعة، قضية التجديد هي قضية الصراع مع رأسين: الأوّل هو رأس المجدّد نفسه، الذي سوف يثبت أنه خلّاق ومبدع وقادر، أو العكس، على مواجهة مصاعب النوع أو الحقل الذي ينبغي عليه ألّا ينسخه كما وُجد في رؤوس أخرى. هذا هو حال الرواية العربية . والشعر العربي الحديث، والمسرح العربي أيضاً، التي يُقاس مدى نجاحها أو فشلها بقدرة المجدّدين فيها على تحدّي مصاعب الكتابة والبناء، والثاني هو رأس الخارج المتمثّل في القوى التي تحاول منع الجديد، مرّة، أو تحاول خنقه في رأس المجدّد نفسه، كما في حالة المويلحي وطه حسين وغيرهم مرّات.

(روائي من سورية)

يختفي النضال في سياق التاريخ الحديث لصالح المواجهة مع المجتمع

وقفة مع

محمد عادل زكي

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع قرّائه

الإسكندرية ـ العربي الجديد

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

مع تعقد حياتنا اليوميّة، قد يصعب على المرء أن يشير إلى أمر بعينه يحتل مجمل انشغاله؛ فأنا يومي مقسّم بين ثلاثة محاور أساسية: من الصباح وحتى الثالثة عصرًا تقريبًا يكون الانشغال بمهام العمل، كمحام، ثم بعض الراحة، ثم المقابلات والمحاضرات حتى العاشرة مساءً، ثم القراءة والكتابة حتى مشارف الصباح. وجميع أقسام اليوم بما تتضمّنه من مسؤوليات تمثل انشغالي الدائم؛ فالمحاماة مهنة شاقة وشيقة وكل مفرداتها يجب أن تمثل انشغالاً جديًا للمحامي. والمحاضرات تضعك كل يوم في تحد مستمر في سبيل تعليم الشباب علم الاقتصاد السياسي. أما البحث العلمي فهو في ذاته انشغال لا ينتهي.

■ ما هو آخر عمل صدر لك وما هو عملك القادم؟

آخر أعمالي كان كتاب «نقد الاقتصاد السياسي» وقد بلغ ثماني طبعات، آخرها في مصر وتونس، وبات متاحاً إلكترونياً في طبعة شرعية، وأرجو أن يتسع العمر كي أنتهي من كتاب «مبادئ المالية العامة».

■ هل أنت راضٍ عن إنتاجك ولماذا؟

لديّ يقين بأن ذهن الباحث حينما يطمئن ويهدأ، يحل موته كمبدع لا يكف عن الخلق، وتتوقف حياته كمنتج للمعرفة. ولذا، فالباحث الجيد لا ينبهر بما يصل إليه من أفكار فهو ذهن قلق، النهايات أشد ما يزعجه، ولذلك كنتُ، مع كل طبعة تصدر لأي من كتبي، أول ناقد لأفكارها، بل لمنهج الطرح داخلها؛ فلم يكن هدفي - مُتحررًا من أوهام المؤلفين عازفًا عن ترّهات الكتّاب - إلا محاولة بلوغ ضفاف الحقيقة العلمية، دون ادعاء ملكيتي لناصيتها.

■ لو قيض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

على الصعيد الفكري سوف أسلك نفس الاتجاه عاشقًا للاقتصاد السياسي، وعلى الصعيد العملي سوف أسلك نفس الاتجاه محاميًا مغرمًا بعلم القانون.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

الواقع أنا لستُ من هؤلاء الحالمين بتغيير العالم، بصفة خاصة في ما يتعلق بعالمنا العربي؛ ببساطة لأنني لا أرى أي ضرورة لهذا الحلم، فانا مؤمن بأن لهذا العالم، بكل شروره وجماله، قوانينه الموضوعية التي حكمت بداياته كما حكمت تطوّره وستحكم نهاياته. وتعدّينا على هذه القوانين ما هو إلا الإمعان في إفساد هذا العالم، مهما ادعينا، إفكًا، إصلاحه. ولأن مذهبي هذا سرعان ما تم تأويله على نحو لم أقله أبدًا؛ فأود أن أوضح هنا أني أرى كل العبث في محاولة إصلاح مجتمع، أي مجتمع، على عكس ما تقتضيه الطبيعة الراهنة لهذا المجتمع. وبالتالي يجب أن تكون جهودنا، في عالمنا العربي، مركزة في فهم ناقد للقوانين الموضوعية الكبرى التي تحكم عالمنا وترسم له خط سيره حتى تطيش الأرض بعيدًا عن مدارها ويحل الموت. وبالتالي نكون مستعدين، حينما تتيح لنا فقط القوانين الموضوعية ذلك ولو بعد ألف عام، دفع عجلات التاريخ نحو عودة مركز الثقل الحضاري إلى الشرق مرة أخرى. فأن تتسلح دومًا لغد أفضل، حينما يحين مجيئه حتمًا، شيء، وأن تدّعي قدرة زائفة على خلق هذا الغد، بمخالفة قوانين الطبيعة، شيءٌ آخر. فالسعي من أجل غد أفضل. غد عادل رحيم، هو في حقيقته، وبوضوح، محض تهيؤ واعٍ لاستقباله حينما يجيء وفق قوانين موضوعية لا شأن لنا بها، وما تدخلنا في عملها إلا، كما قلت، الإمعان في إفساد العالم بكل غطرسة الجاهل.

تعدينا على القوانين الطبيعية للعالم هو إمعان في إفساده

■ شخصية من الماضي تود لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

عالم الاقتصاد البريطاني ديفيد ريكاردو، فهو لدى الجمهور من شراح تاريخ الفكر الاقتصادي من أهم أساتذة الاقتصاد السياسي، وفي الوقت نفسه قد تثير نصوصه داخلك الشكوك حول أصالته! فهل كان ريكاردو يستحق فعلاً كل هذا التبجيل أم أنه مجرد مؤلّف أفّاق؟ دومًا ما كنت أظن أن الإجابة لا يمكن أن تكون سليمة إلا بعد مقابلة ريكاردو نفسه!

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

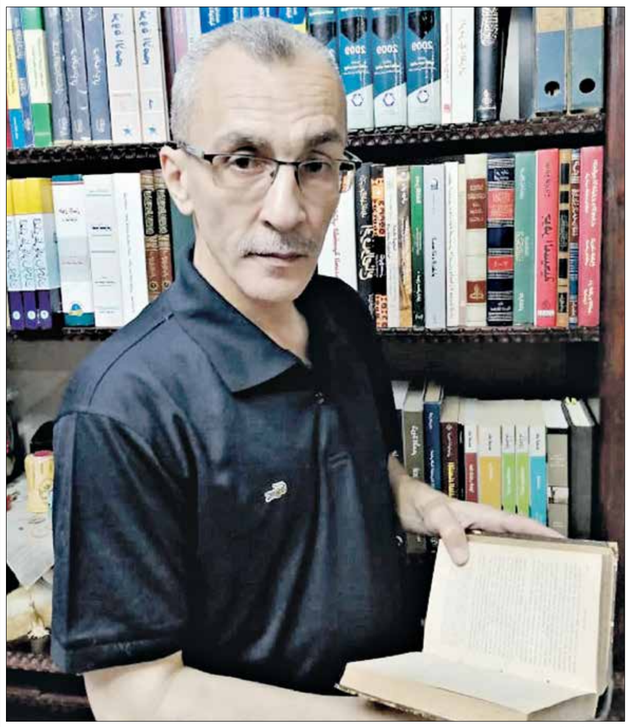

محمد عادل زكي

بطاقة

باحث اقتصادي ومحام مصري من مواليد الإسكندرية عام 1972. ينصبّ عمله على تجديد علم الاقتصاد السياسي في العالم العربي، وقد أسّس ضمن هذا المشروع «مدرسة الإسكندرية» كتيار هدفه إحياءُ الاقتصاد السياسي بصفته علمًا اجتماعيًا، وإعادةُ النظر في مسلّماته ونظرياته. من مؤلّفاته: «نقد الاقتصاد السياسي»، و«التبعية مقياس التخلّف»، و«رؤاد الفكر الاقتصادي»، و«اقتصادات تنزف عرقًا»، و«الاقتصاد السياسي للتخلّف».

فعاليات

نساء في الفلسفة عنوان سلسلة ندوات افتراضية يقيمها «المؤتمر الدولي للفلسفة» (في البرازيل) منذ الثامن من تشرين الثاني/ نوفمبر الجاري، وستكون الباحثة **سوزان كسّاب** ضيفة الحلقة الثانية؛ حيث تقدّم عند الرابعة من مساء اليوم محاضرة عن بعد بعنوان «التنوير، الإنسانوية، والفلسفة العربية المعاصرة».

ينطلق اليوم **معرض تونس الدولي للكتاب** في دورته السادسة والثلاثين. تحلّ موريتانيا ضيف شرف هذه الدورة. وخلال اليوم الأول من الفعاليات المرافقة، تقام مجموعة محاضرات من بينها: **طريق الحبر بين القيروان وشنقيط** لـ خليل الخوري، و**المكتبة الموريتانية وكنوزها المخطوطة** لـ احمد سيّد احمد، و**وجوه التماثل بين التراثين التونسي والموريتاني** لـ هلالي احمد مولود.

يوم الإثنين المقبل، تُقام ورشة عن بعد بعنوان **التصوير كأداة استقصائية في السرد القصصي** تنظّمها شبكة **اريج**. تركّز الورشة على إضاءة قضايا العمّال من خلال الفوتوغرافيا وتوظيفها في بناء القصص، كما تستعرض إضاءات تاريخية عن حركة تطوّر صحافة العمّال وجوانبها المهنية والأخلاقية.

في مدينة ستراسبورغ الفرنسية، يُقام غداً وبعد غد **معرض كتابي من ورق** الذي تنظّمه جمعياتٌ مكتبات تابعة للجالية العربية في فرنسا. هذه هي المرة الاولى التي يقام فيها المعرض، وكانت السنوات الاخيرة قد شهدت الكثير من التظاهرات المشابهة في مدن فرنسية والمانية؛ مثل ليون وبوردو وشتو تغارت ودور تموند.